- الفنون الجميلة - جاكلين في حياة فائق حسن

بقلم خالد القصاب

في يوم من أيام شباط 1948م وجدنا فائق حسن في منظر غير مألوف، كان يمسك بيده رسالة وعيناه مغرقتان بالدموع، كان تلميذه إسماعيل الشيخلي قد عثر في باريس على (جاكلين).
عرفنا هذا الاسم (جاكلين) من لوحة (بورتريت) صغيرة، كانت دائما معلقة على الحائط في غرفة فائق بالقرب من المدخل: فتاة جميلة بعنق دقيق وشعر اسود فاحم وشفتين ممتلئتين بلون احمر قان (vermilion)، يتوازن توازناً ناجحاً مع اللون (التركواز الشذري) المبعثر في خلفية اللوحة.
لقد كانت (جاكلين بوفيس – Jacqueline Beaufice) حبيبة فائق وخطيبته وزميلته في (البوزار). انقطعت صلته بها بسبب الحرب العالمية الثانية، وراحت قصة حبه ضحية أخرى من ضحايا الحرب. كان فائق قد كلف تلميذه إسماعيل للبحث عنها. فاصطحب صديقته (ماري دوبله) إلى عمارة خصصت للفنانين، كانت جاكلين تسكن في شقة جيدة فيها مع زوجها (سيفر - Sieffer)، الذي كان صديق فائق وجاكلين الحميم وزميلهما في (البوزار)، وكان على علم بعلاقتهما العاطفية.
قال إسماعيل انه عرف جاكلين حال لقاءه بها من الصورة (البورتريت) التي رسمها لها فائق حسن، كما إنها عرفته في الحال من سحنته السمراء، وتوقعت أن يكون قادماً من بغداد. أشارت إليه (والحديث لإسماعيل) أن يدخل معها إلى غرفة مجاورة، وعرفت منه إن حب فائق لها لم يمت. وبعد قليل انضم الزوج (سيفر) إليهما، وعرف منهما أخبار فائق، وأجهش الثلاثة بالبكاء. بينت جاكلين استعدادها للطلاق من (سيفر) والزواج من فائق. فاستغرب إسماعيل من الفكرة، ورفضها فائق أيضاً. وفي عام 1951م ذهب فائق إلى باريس للمرة الأولى بعد انتهاء الحرب، بدعوة من صديقه (روبير غيومار – Robert Guyomard) المدير السابق لمخازن (اوروزدي باك) في بغداد، فالتقى جاكلين وسيفر ليودع غرامه إلى الأبد.
لقد مات سيفر شاباً في عام 1954م مصاباً بالسرطان، ومن الغريب إن والد الفنان توفي أيضاً من المرض نفسه وفي السنة عينها.
كان (غيومار) قد دعا فائق إلى مصيف (لابيرنيري – La Bernerie) على ساحل (بريتاني – Bretagne) قرب (سان لازار – St. Lazar).
وهناك تعرف على (سوزان كوتييه) ابنة صاحبة المنزل (بانسيون) الذي أقام فيه. فتطورت العلاقة بينهما وانتهت بزواجه منها عام 1953م، ومجيئها إلى بغداد في عام في عام 1954م.
كان مجيئ سوزان إلى بغداد نقطة انعطاف حادة في نمط حياة فائق حسن وعلاقته بأصدقائه. فقد أصرت عليه أولاً أن يترك بيته في العيواضية ويبني بيتاً جديداً. كما إنها لم تتفهم الجو الذي كان يحيط بفائق، ووصف اجتماعات جماعة (الرواد – S.P.) الصاخبة وأعضائها بأنهم متوحشون (Souvage)، فأبعدته عنهم واستأثرت به. وحين أكمل فائق بناء بيته الجديد في (الصليخ) انتقل إليه مع سوزان، وكان بيتاً جميلاً وكبيراً، تحيط به حديقة واسعة، لكنه كان يفتقر إلى حرارة الحياة التي طبعت بيته في العيواضية، وبغياب الأصدقاء أصبح البيت كالدير المهجور الذي لايدخله احد.

لقد أصرت سوزان على إزالة كل مايربط فائق بماضيه، وركزت بصورة خاصة على صورة بورتريت جاكلين الجميلة وهددت بحرقها. اخذ فائق اللوحة الجميلة الى تلميذه المبدع وليد شيت، وطلب منه المحافظة عليها لكي لاتحرقها سوزان. مرت الأيام ونشفت الدموع وتلاشى بيت العيواضية الصغير، ولكن الصورة الجميلة تلك بقيت في قلب كل من دخل البيت العتيق إلى الآبد، صورة جاكلين.